

الاعجاز العلمي في السنة النبوية المطهرة

د. احمد عبد الله كسار

الحمد لله الذي تواترت السنة الذاكرين بذكره وتمجيده ، وتواطأت قلوب المحبين على حبه وتعظيمه وتوحيده . والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على خير البرية سيدنا مُحَمَّد وعلى آله السادة ، وصحابته النجوم البررة القادة ، وسلم اللهم تسليماً كثيراً . أما بعد : فلقد أرسل الله الرسل ، وأيدهم بالبينات المصدقة لهم ، ولكي يطمئن الناس إلى صدق ما أخبرهم به الرسل ، وتقوم الحجة عليهم ، وكلي لا يكذبهم مكذب ، فقد أيدهم الله بالبينات المصدقة لهم . قال تعالى : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴾ (١) . والبينات التي أعطي إياها سيدنا محمداً ﷺ جاءت متوافقة مع من بعث فيهم من العرب ، وفيما يأتي بعدهم من الأجيال إلى يوم القيامة . وأهمية بيناته ﷺ تتأتى من كونها البينات الوحيدة الباقية اليوم من بينات الرسل ، والتي تثبت صدقه ﷺ ، وصدق الرسل من قبله ، وبها تقوم الحجة على جميع البشر . والبينات التي أيد بها المصطفى ﷺ قائمة ماثلة ، يمكن لأي مسلم أن يستشهد بها ويدل عليها ، بخلاف اليهود ، فهم لا يستطيعون اليوم الإتيان بعصا موسى ﷺ أو بأي بيعة من بيناته ، وكذلك النصارى لا يستطيعون أن يقدموا للناس اليوم أي من بينات عيسى ﷺ ، ولا يملك الطرفان إلا المرويات التاريخية ، والتي يمتلك المسلمون بطبيعة الحال مثلها . والإعجاز المرتبط بنبوته سيدنا مُحَمَّد ﷺ يأخذ منحنيين : أحدهما البينات الدالة على رسالته ، وأكبر هذه البينات وأعظمها هو القرآن الكريم بدون منازع ، فهو حجة في ذاته ؛ لأنه نزل بعلم الله سبحانه وتعالى ، ومن أبرز أدلته اليوم الإعجاز العلمي الذي قدم للبشر جميعاً المعجزة الكبرى فيما يحمله من علم إلهي ، كما قال تعالى : ﴿ لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾ (٢) . وللرسول ﷺ معجزات وبيانات كثيرة غير القرآن تقوم بها الحجة في عصرنا وما يأتي من العصور . والمنحى الثاني : المعجزات الدالة على نبوته ﷺ المتمثلة بالبشارات الواردة في التوراة والإنجيل وما حملته من أنباء وأوصاف دلت عن بعثة النبي ﷺ مبينة اسمه وصفاته البدنية والمعنوية ونسبه ومكان بعثته ، وصفة أصحابه وصفة أعدائه ، ومعالم الدين الذي يدعو إليه ، والحوادث التي تواجهه ، والزمن الذي يبعث فيه ، ليكون ذلك دليلاً على صدقه عند ظهوره بانطباق تلك الأوصاف عليه ، وهي أوصاف وبشارات تلقاها أهل تلك الأديان نقلاً عن رهبانهم وأخبارهم وكهنتهم قبل ولادة الرسول ﷺ بقرون كثيرة . وقد أشار القرآن الكريم إلى تلك البشارات ، فقال تعالى : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَغْرُبُونَ كَمَا يَغْرُبُونَ أَنْبَاءُهُمْ ﴾ (٣) . وهذا البحث يتعلق بالمنحى الأول ، أي البينات المؤيدة للنبوته ، اخترت منها موضوعاً لهذا البحث (الإعجاز العلمي في السنة النبوية) بينت فيه الدلالات العلمية التي جاءت موافقة للسنة النبوية . ومما تجدر الإشارة إليه أن المؤمن الحق يستبشر بالحقائق العلمية المكتشفة المؤيدة لنبوته سيد البشر ﷺ وإن لم يكن لها ذلك التأثير في درجة إيمانه ، ولكن بحث هذه المسائل مهم جداً في التعريف بمنزلة الرسول ﷺ وصدق نبوته في خطابنا للعقلية الغربية ، فهو أكثر إقناعاً إذا كان مؤيداً بالحقائق العلمية ، وإن تأخر المسلمين في الانفتاح على الغرب ، وتلكؤهم في التعريف بنبيهم ﷺ بالصورة المناسبة كان أحد أسباب الحملة الأخيرة التي حاولت الاستهزاء برسول الله ﷺ . ومن المناسب ذكره أن بعض المكتشفات العلمية ليست قطعية الدلالة ، فهي خاضعة للتجارب وعرضة للتغيير في ضوء طروء مكتشفات أحدث منها . كذلك من المناسب الاستشهاد بالأخبار الصحيحة المروية عن رسول الله ﷺ لكي نقطع دابر التشكيك بهذه المعجزات بسبب ضعف الحديث أو جهالة السند وغير ذلك . من هذا المنطلق ارتأيت تسليط الضوء على بعض الحقائق العلمية القطعية الدالة على صدق النبوة المروية بطرق صحيحة ، وبما يقطع أي مجال للشك أو الطعن ، وتتناغم مع روحية العصر وعقليته .

وتضمن هذا البحث تمهيداً ومبحثين وخاتمة :

المُبْحَثُ الْأَوَّلُ : من شواهد الإعجاز الطبي في السنة النبوية

المُبْحَثُ الثَّانِي : من شواهد الإعجاز الاجتماعي في السنة النبوية

المُبْحَثُ الثَّلَاثُ : من شواهد الإعجاز الكوني في السنة النبوية

أرجو أن أكون قد وفقت في عرض الموضوع ، وبما ينسجم مع سعة صفحات هذا البحث ، والله الهادي إلى سواء السبيل ، وصلى الله على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

تَهْنِئَة

كثيرة جداً هي الشواهد الدالة على الإعجاز الطبي في الحديث النبوي ، بل يمكن لنا القول بكل ثقة واطمئنان أنه ما من وصية صحية أوصانا بها رسول الله ﷺ إلا وهي منطقية على حقائق علمية قاطعة ، نجح العلم في البرهنة على بعضها ، وما زال بعيداً عن اكتشاف أسرار ما لم يكتشف منها . ومما يؤسف له أن المسلمين أخذوا دور المتلقي ، فيما يتعلق بالحقائق العلمية المؤيدة لما جاء في القرآن الكريم والسنة

النبوية ، واكتفوا بهذا الدور السلبي ، فأثبتت هذه البيئة أو تلك الحقيقة رهن بما يثبته الغرب ويكشفه لنا ، والأحرى بنا أن نؤسس مؤسسات بحثية علمية يشترك فيها علماء الدين مع غيرهم من علماء الفيزياء والكيمياء والطب وغيرهم للوقوف على الحقائق التي وردت في القرآن الكريم والسنة النبوية ، والكشف عنها عوضاً عن انتظار ما يكشف لنا الغرب بسبب قصور المؤسسات البحثية عندنا أو غيابها . فنحن طوال قرون نتلو قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخنزِيرِ ﴾^(٤) من دون أن نقف على العلة الحقيقية الكامنة في تحريم لحم الخنزير من دون غيره من الحيوانات ، وراح بعض المسلمين يضرب أحساساً في أسداسٍ في محاولة معرفة هذه العلة . وكذلك الشأن في كيفية سقوط المطر ، فالذي يطالع كتب التفسير مثلاً يقف على معلومات غريبة تثير الدهشة ، في حين أن سبب سقوط المطر صار معلوماً لطلبة المدارس الابتدائية اليوم ، وعرفوا ما كان لغزاً محيراً لجهاذ العلماء . وليس في هذا طعناً لعلمائنا الكرام ، فهم فعلوا ما في وسعهم وعلى وفق ما تيسر لهم من معلومات . والقصد أننا في كل هذه المسائل نتلقى الخبر من الغرب ونشير إلى أن القرآن الكريم قد ذكر هذا قبل ألف وكذا مائة من السنين ، ولكن يبقى السؤال المحير : لم لم يكتشف هذا علماؤنا ؟ إن تبرير ذلك بتخلف وسائل البحث العلمي أو تأخرها قد يكون مقبولاً ، وهذا العذر يبدو منطقياً في كشف الحقائق الكونية والمتعلقة بالكواكب والنجوم ، ولكنه لا يبدو منطقياً في كشف بعض الحقائق البسيطة التي يستطيع أي مختبر بقدرات بسيطة من الوقوف عليها . وما أكثر الوصايا الطبية التي نفعنا بها النبي ﷺ ، والتي يمكن إثباتها بقدرات بسيطة للغاية ، من ذلك ما روي عن أبي هريرة ؓ قال : قال رسول الله ﷺ : ((إن الشيطان حساس لحاس ، فاحذروه على أنفسكم ، من بات وفي يده ريح غمر ، فأصابه شيء فلا يلومن إلا نفسه))^(٥) . فليس بالمتعذر أن يقوم أياً من المختبرات الطبية بأخذ مسحة من يد إنسان قبل النوم وبعده وإظهار نتائج ذلك ، ونحن على ثقة أنها ستكون مؤيدة لما جاء في الحديث ، وبها يعرف مغزى التشبيه بالشيطان أهو حقيقي أم مجازي .

المبحث الأول من شواهد الإعجاز الطبى في السنة النبوية

بينت أن السنة النبوية زاخرة بالشواهد بالوصايا الطبية التي أثبت العلم حقيقتها وكشف أسرارها . وفي هذا المبحث سأسلط الضوء على بعض هذه الوصايا .

أولاً . الطاعون :

قال إبراهيم بن سعد : سمعت أسامة بن زيد ؓ يحدث سعداً ؓ عن النبي ﷺ قال : ((إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها ، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها)) . فقلت : أنت سمعته يحدث سعداً ولا ينكره؟ قال : نعم^(٦) . قد يبدو منع الدخول إلى المدينة منطقياً ؛ لأن الداخل قد يكون عرضة للإصابة بهذا المرض ، ولكن لم يمنع الخروج منها ؟ والجواب عن هذا : أن الدراسات في المدة الأخيرة كشفت أنه عندما يكون الطاعون منتشراً في مدينة من المدن ، أو منطقة من المناطق فإن عدد الذين يظهر عليهم أعراض المرض تتراوح نسبتهم ما بين (١٠-٣٠ %) . والباقيون من سكان المدينة يحملون الجرثومة في أجسادهم ، لكن جهاز المناعة عندهم يتغلب على الجراثيم ، فتبقى في الجسم ولكنها لا تضره ، فإذا بقي هذا الصحيح في البلدة التي فيها الطاعون ، فلا خوف عليه ؛ لأنه ملقح ، ولأن عنده مقاومة من جهاز المناعة تدفع عنه المرض (٢) . أما لو خرج من هذه المدينة أو البلدة ، فإنه يخرج حاملاً لهذه الجرثومة ، فينقل ذلك المرض إلى مدينة جديدة ، وقد ينشأ عن ذلك هلاك الملايين من البشر بسبب خروج هذا المصاب بالجرثومة من بين أهل هذه المدينة المصابين بالطاعون والسؤال المطروح : إلى متى يستمر هذا الحصار المضروب على هذه المدينة ؟ إلى وقت يسير حتى يتغير سلوك الجرثومة بإضافة خاصية وراثية جديدة تذهب فيها خاصية العدوى التي تنتشر وتتقل المرض للأخرين^(٧) . ففي هذا الحديث فرض النبي ﷺ الحجر الصحي على مرضى الطاعون قبل ١٤٠٠ عام ، ولم يكن الحجر الصحي معروفاً من قبل ، فالرسول ﷺ هو أول من وضع الحجر الصحي ورسم قواعده ، والعقل الغربي إن لم يقف على الإعجاز في هذه الحقيقة ، فهو على أقل تقدير سيعلم أن الرسول ﷺ صاحب عقلية جبارة مبدعة سبقت عصره بأكثر من ألف وخمسمائة عام ، وهذا وحده ليس بالأمر الهين كما هو معلوم .

ثانياً . الفرق بين الكلب والقط :

عن أبي هريرة ؓ قال : ((قال رسول الله ﷺ : إذا ولغ الكلب في إناء أحدكم فليقره ، ثم ليغسله سبع مرار)) ، وفي رواية : ((إذا ولغ فيه الكلب أن يغسله سبع مرات أولاهن بالتراب))^(٨) . وعن كبشة بنت كعب بن مالك وكانت تحت بن أبي قتادة : أن أبا قتادة ؓ دخل عليها فسكبت له وضوءاً ، فجاءت هرة تشرب منه ، فأصغى لها أبو قتادة الإناء حتى شربت . قالت كبشة : فرأني أنظر إليه ، فقال : أتعجبين يا بنت أخي ؟ قالت : فقلت : نعم ، فقال : إن رسول الله ﷺ قال : إنها ليست بنجس ، إنما هي من الطوافين عليكم ، أو الطوافات ((

هذا موقف متعارض بين حيوانين من الحيوانات التي تعيش في بيت الإنسان وتخالطه ، والكلب أنفع للإنسان من القطعة بكثير ، والحاجة إليه قد تكون ماسة في الرعي أو الحراسة وغيرهما بخلاف القط ، ولولا أن سيدنا محمداً ﷺ كان نبياً لذهب إلى تفضيل الكلب على القط للحاجة الماسة إليه ، كما يفعل الغرب اليوم من اقتناء الكلاب وتقبيلهم واحتضانهم . وكثيراً ما نسمع عبارات من بعضهم يستغرب فيها من هذا المنع معللاً أن الغربيين يقبلون الكلاب ولا يصيبهم أي مكروه . والجواب عن هذا كله أن الكلب يحمل الكثير من الأمراض المعدية فهو يحمل ما يقارب خمسين مرضاً طفيلياً ، وكثير منها يوجد في لعابه . أما القط فهو يعدّ من أطهر الحيوانات من الناحية الطبية ، إذ هو لا يحمل من الجراثيم والميكروبات إلا ما يسبب مرضاً واحداً فقط ، يصيب الإنسان بالعمى ، ويوجد هذا المرض في براز القط ، فإذا أكل حيوان آخر هذا البراز انتقل هذا المرض إلى جسم هذا الحيوان ، وعندما يذبح ذلك الحيوان ويؤكل لحمه ينتقل المرض بدوره إلى الإنسان فيصاب به (١٠) . والذي يلاحظ أن حكمة الله تعالى جبلت هذا الحيوان على دفن برازه من دون غيره من الحيوانات حتى لا تأكله الحيوانات الأخرى ، وبذلك يخلي مسؤوليته . ومن هذا نعرف مصداقية الحديثين الشريفين . أما ردنا على من يتذرع بتقبيل الغربيين للكلاب وتربيتها في داخل البيوت ، فنقول : أننا لسنا بمحيطين بتفاصيل حياة هؤلاء لنعلم أوصيوا بمرض معين من عدمه ، وأن التوجهات الغربية الحديثة تذهب إلى ضرورة إخراج الكلاب من البيوت وتربيتها في الحدائق (١١) .

ثالثاً . الحمى :

عن ابن عمر . رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا . عن النبي ﷺ قال : ((الحمى من فيح جهنم ، فأبردوها بالماء)) (١٢) . عن جابر بن عبد الله ﷺ : أن رسول الله ﷺ دخل على أم السائب . أو أم المسيب . فقال : مالك يا أم السائب . أو يا أم المسيب . تزفزين ؟ قالت : الحمى ، لا بارك الله فيها ، فقال : لا تسبي الحمى ، فإنها تذهب خطايا بني آدم كما يذهب الكير خبث الحديد)) (١٣) . وقد وردت أحاديث كثيرة تضيير إلى هذا التوجه ، منها أيضاً ما رواه سمرة بن جندب ﷺ : أن النبي ﷺ قال : ((إن الحمى قطعة من النار فأبردوها عنكم بالماء)) . قال : وكان رسول الله ﷺ إذا حمّ دعا بقربة من ماء فأفرغها على قرنه فاغتسل)) (١٤) . لقد ثبت أنه عند الإصابة بالحمى ذات الحرارة الشديدة التي قد تصل إلى ٤١ درجة مئوية ، قد يؤدي إلى هياج شديد ، ثم هبوط عام وغيبوبة تكون سبباً في الوفاة . ولذا كان لزاماً تخفيض هذه الحرارة المشتعلة بالجسم فوراً حتى ينتظم مركز تنظيم الحرارة بالمخ . وليس لذلك وسيلة إلا وضع المريض في ماء أو عمل كمادات من الماء البارد والثلج حيث إنه إذا انخفضت شدة هذه الحرارة عاد الجسم كحالته الطبيعية بعد أن ينتظم مركز تنظيم الحرارة بالمخ ، ويقلل هذه الحرارة بوسائله المختلفة من تبخير وإشعاع وغيرهما . وقد ثبت علمياً أنه عند الإصابة بالحمى تزيد نسبة مادة (الأنترفيرون) لدرجة كبيرة ، كما ثبت أن هذه المادة التي تفرزها خلايا الدم البيضاء تستطيع القضاء على الفيروسات التي هاجمت الجسم ، وتكون أكثر قدرة على تكوين الأجسام المضادة الواقية ، فضلاً عن ذلك فقد ثبت أن مادة (الأنترفيرون) التي تفرز بغزارة أثناء الإصابة بالحمى لا تخلص الجسم من الفيروسات والبكتيريا فحسب ، ولكنها تزيد مقاومة الجسم ضد الأمراض وقدرتها على القضاء على الخلايا السرطانية منذ بدء تكوينها ، وبالتالي حماية الجسم من ظهور أي خلايا سرطانية يمكن أن تؤدي إلى إصابة الجسم بمرض السرطان . ولذا قال بعض الأطباء : إن كثيراً من الأمراض نستبشر فيها بالحمى كما يستبشر المريض بالعافية ، فتكون الحمى فيها أنفع من شرب الدواء بكثير مثل مرض الرماثيزم المفصلي الذي تتصلب فيه المفاصل وتصبح غير قادرة على التحرك ، ولذلك من ضمن طرق العلاج الطبي في مثل هذه الحالات الحمى الصناعية ، أي : إيجاد حالة حمى في المريض يحققه بمواد معينة (١٥) . ومن هنا ندرك حكمة رسول الله ﷺ في رفض سب الحمى بل ، والإشادة بها بوصفها تنقي الذنوب كما تنقي النار خبث الحديد

رابعاً . تحريم أكل لحم الجوارح وكل ذي ناب :

عن أبي ثعلبة ﷺ قال : ((نهى النبي ﷺ عن أكل كل ذي ناب من السبع)) (١٦) . وعن ابن عباس . رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا . : ((أن رسول الله ﷺ نهى عن كل ذي ناب ، وعن كل ذي مخلب من الطير)) (١٧) . لقد أثبت علم التغذية الحديثة أن الشعوب تكتسب بعض صفات الحيوانات التي تأكلها لاحتواء لحومها على سميات ومفرزات داخلية تسري في الدماء ، وتنتقل إلى معدة البشر ، فتؤثر في أخلاقياتهم . فقد تبين أن الحيوان المقترس عندما يهجم باقتناص فريسته تفرز في جسمه هرمونات ومواد تساعده على القتال واقتناص الفريسة . ونقل عن الدكتور (س لبيج) أستاذ علم التغذية في بريطانيا : إن هذه الإفرازات تخرج في جسم الحيوان حتى وهو حبيس في قفص عندما تقدم له قطعة لحم لكي يأكلها . ويعلل نظريته هذه بقوله : ما عليك إلا أن تزور حديقة الحيوانات مرة وتلقى نظرة على النمر في حركاته العصبية الهائجة أثناء

تقطيعه قطعة اللحم ومضغها ، فترى صورة الغضب والاكفهرار المرسومة على وجهه ، ثم ارجع ببصرك إلى الفيل وراقب حالته الودية عندما يأكل وهو يلعب مع الأطفال والزائرين ، وانظر إلى الأسد وقارن بطشه وشراسته بالجمل ووداعته (١). وقد لوحظ على الشعوب آكلات لحوم الجوارح أو غيرها من اللحوم التي حرم الإسلام أكلها ، أنها تصاب بنوع من الشراسة والميل إلى العنف ، ولو بدون سبب إلا الرغبة في سفك الدماء . ولقد تأكدت الدراسات والبحوث من هذه الظاهرة على القبائل المتخلفة التي تستمرى أكل مثل تلك اللحوم إلى حد أن بعضها يصاب بالضراوة فيأكل لحوم البشر ، كما انتهت تلك الدراسات والبحوث أيضاً إلى ظاهرة أخرى في هذه القبائل ، وهي إصابتها بنوع من الفوضى الجنسية ، وانعدام الغيرة على الجنس الآخر ، فضلاً عن عدم احترام نظام الأسرة ومسألة العرض والشرف وهي حالة أقرب إلى حياة تلك الحيوانات المفترسة ، إذ إن الذكر يهجم على الذكر الآخر من القطيع ويقتله لكي يحظى بإنائه إلى أن يأتي ذكر آخر أكثر شباباً وحيوية وقوة ، فيقتل الذكر المغتصب السابق ، وهكذا ولعل أكل الخنزير أحد أسباب انعدام الغيرة الجنسية بين الأوربيين وظهور الكثير من حالات ظواهر الشذوذ الجنسي مثل تبادل الزوجات والزواج الجماعي ، ومن المعلوم أن الخنزير إذا ربي ولو في الحظائر النظيفة ، فإنه إذا ترك طليقاً لكي يرعى في الغابات ، فإنه يعود إلى أصله فيأكل الجيفة والميتة التي يجدها في طريقة ، بل يستلذ بها أكثر من البقول والبطاطس التي تعود على أكلها في الحظائر النظيفة المعقمة . وهذا هو السبب في احتواء جسم الخنزير على ديدان وطفيليات وميكروبات مختلفة الأنواع فضلاً عن زيادة نسبة حامض البوليك التي يفرزها والتي تنتقل إلى جسم من يأكل لحمه . كما يحتوي لحم الخنزير على أكبر كمية من الدهن من بين جميع أنواع اللحوم المختلفة مما يجعل لحمه عسير الهضم ، فمن المعروف علمياً أن اللحوم التي يأكلها الإنسان تتوقف سهولة هضمها في المعدة على كميات الدهون التي تحويها ، وعلى نوع هذه الدهون ، فكلما زادت كمية الدهون كان اللحم أصعب في الهضم . وقد جاء في الموسوعة الأمريكية أن كل مائة رطل من لحم الخنزير تحتوي على خمسين رطلاً من الدهن أي : بنسبة ٥٠ % في حين أن الدهن في الضأن يمثل نحو ١٧ % فقط . وفي العجول لا يزيد عن ٥ % ، كما ثبت بالتحليل أن دهن الخنزير يحتوي على نسبة كبيرة من الأحماض الدهنية المعقدة ، وأن نسبة الكوليسترول في دهن الخنزير إلى الضأن وإلى العجول هي : ٦ : ٧ : ٩ ، ومعنى ذلك بحساب بسيط أن نسبة الكوليسترول في لحم الخنزير أكثر من عشرة أضعاف ما في البقر . ولهذه الحقيقة دلالة خطيرة لأن هذه الدهون تزيد مادة الكوليسترول في دم الإنسان ، وهذه المادة عندما تزيد عن المعدل الطبيعي تترسب في الشرايين وخصوصاً شرايين القلب . وبالتالي تسبب تصلب الشرايين وارتفاع الضغط وهي السبب الرئيسي في معظم حالات الذبحة القلبية المنتشرة في أوروبا حيث ظهر من الإحصاءات التي نشرت بصدد مرض الذبحة القلبية وتصلب الشرايين أن نسبة الإصابة بهذين المرضين في أوروبا تعادل خمسة أضعاف النسبة في العالم الإسلامي ، وذلك بجانب تأثير التوتر العصبي الذي لا ينكره العلم الحديث . ومما هو جدير بالذكر أن آكلات اللحوم تعرف علمياً بأنها ذات الناب التي أشار إليها الحديث الشريف ؛ لأن لها أربعة أنياب كبيرة في الفك العلوي والسفلي . وهذا لا يقتصر على الحيوانات وحدها بل يشمل الطيور أيضاً إذ تنقسم إلى آكلات العشب والنبات كالدجاج والحمام ، وإلى آكلات اللحوم كالصقور والنسور . وللمتيز العلمي بينهما يقال : إن الطائر آكل اللحوم له مخلب حاد ولا يوجد هذا المخلب في الطيور المستأنسة الداجنة ، ومن المعلوم أن الفطرة الإنسانية بطبيعتها تنفر من أكل لحم الحيوانات أو الطيور آكلة اللحوم إلا في بعض المجتمعات التي يقال عنها إنها مجتمعات متحضرة ، أو في بعض القبائل المتخلفة كما سبق أن أشرنا . ومن الحقائق المذهلة أن الإسلام قد حدد هذا التقسيم العلمي ونبّه إليه منذ أربعة عشر قرناً من الزمان (١٨) .

خامساً . الوقاية من الأمراض :

عن جابر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : ((غطوا الإناء وأوكئوا السقاء فإن في السنة ليلة ينزل فيها وباء لا يمر بإناء ليس عليه غطاء ، أو سقاء ليس عليه وكاء ، إلا نزل فيه من ذلك الوباء)) (١٩) . لقد أثبت الطب الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم هو الواضع الأول لقواعد حفظ الصحة بالاحتراز من عدوى الأوبئة والأمراض المعدية ، فقد تبين أن الأمراض المعدية تسرى في مواسم معينة من السنة ، بل إن بعضها يظهر كل عدد معين من السنوات ، وحسب نظام دقيق لا يعرف تعليقه حتى الآن ومن أمثلة ذلك : أن الحصبة ، وشلل الأطفال ، تكثر في سبتمبر وأكتوبر والتيفوئيد يكثر في الصيف ، أما الكوليرا ، فإنها تأخذ دورة كل سبع سنوات ، والجذري كل ثلاث سنين . وهذا يفسر لنا الإعجاز العلمي في قول الرسول صلى الله عليه وسلم : ((إن في السنة ليلة ينزل فيها وباء)) ، أي : أوبئة موسمية ، ولها أوقات معينة (٢٠) .

البحث الثاني من شواهد الإعجاز الاجتماعي في السنة النبوية

الإسلام دين الحياة ، والسنة النبوية العطرة لا تقف عند حدود الإعجاز الطبي ، بل تشمل جوانب الحياة كافة ، ومن هذه الجوانب فضلاً عن الجانب الطبي الوصايا الاجتماعية أي تلك المتعلقة بالفرد والمجتمع وحياة الناس على وجه العموم . ومن وجوه الإعجاز الواردة في السنة

عن عائشة . رضي الله عنها . عن النبي ﷺ قال : ((رفع القلم عن ثلاثة : الصبي حتى يحتلم ، وعن المعتوه حتى يفيق ، وعن النائم حتى يستيقظ)) (٢١) . ثبت في الطب الحديث أن خلايا الإنسان في الجلد والعضلات والعظام والعيون كلها تتجدد كل سبع سنوات مرة واحدة ، ما عدا الخلايا العصبية ، فإنها تتوقف عن النمو عند الإنسان عند السنة السابعة تقريباً إذ أن ١٠/٩ من المخ ينمو في تلك الفترة . وإلا فلو تغيرت الخلايا العصبية لتغيرت شخصية الإنسان ، ولكان له عدة تصرفات في يوم واحد . وهذا من بديع صنع الله ورحمته ، إذ إن الله سبحانه رفع التكليف عن غير المكلف ، وهو الذي لم يكتمل نموه بعد ، فإذا كبر الصبي ثبتت شخصيته من ثبات خلاياه العصبية التي لا تزيد ولا تنقص بسبب تلف ، أو مرض ، وإلا لتعطلت وظائفه عن الحركة (٢٢) .

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ((تزوجوا الودود الولود ، فإنني مكاثر الأنبياء يوم القيامة)) (٢٣) . ثبت علمياً أن استخدام أي نوع من وسائل تحديد النسل يعود بأثار وخيمة على الحالة الصحية للأم ، فالجهاز التناسلي للمرأة يهيمن على وظيفة مجموعة من هرمونات التناسل تفرز من الفص الأمامي للغدة النخامية والمبيض . وفي الحالة الطبيعية تفرز هذه الهرمونات بنسب مقدرة ومعينة ، فإذا حدث فيها أي زيادة أو نقص أدى ذلك إلى حدوث حالة مرضية . ومن هنا تعترف الأوساط الطبية بأن الوسائل المستخدمة لمنع الحمل لها أضرار على من يتعاطونها ، وذلك نتيجة أبحاث كثيرة خرجت بهذه النتائج : اختلال في التوازن الهرموني بالجسم . زيادة وزن الجسم وتجمع كيمايات كبيرة من السوائل فيه . حدوث التهابات شديدة بالجهاز التناسلي للأم . زيادة احتمالات التعرض للنوبات القلبية المميتة لمن تجاوزن الثلاثين من العمر ، ولا سيما من تخطين الأربعين . وقد نقلت وكالات الأنباء خبر موت إحدى السيدات البريطانيات نتيجة تعاطيها لحبوب منع الحمل ، فقد ظلت تتناول حبوب (فالدان) طيلة ثماني سنوات ، ثم استبدلت بها صنفاً آخر هو (ميثو كلور) وذلك بتوصية طبية ، ومرضت بعد أسابيع مرضاً شديداً مما اضطرها لملازمة الفراش ، ثم انهارت صحتها وتوفيت بعد ذلك . ثبت أخيراً أن استعمال موانع الحمل ، ولا سيما الحبوب ، وقد يؤدي إلى حدوث بعض الحالات السرطانية . ولكن الذي نهى عنه الرسول ﷺ هو إرضاع الطفل إذا حملت أمه لأن ذلك يؤثر على الرضيع تأثيراً سيئاً مما يجعله ضعيف البنية ، ولو تأملنا هذا الهدى النبوي لوجدنا المسافة بين الحمل والآخر تستغرق ثلاث سنوات ، ولا سيما إذا رجعنا لقوله تعالى : ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنَمِّمَ الرِّضَاعَةَ ﴾ (٢٤) . ومن ذلك نجد أن تنظيم النسل وإعطاء الفرصة للأم لاستعادة صحتها ، أمر يدعو إليه الدين ، وهذا بخلاف منع الحمل بصورة مطلقة . والغريب أن معظم البلدان الإسلامية تكتسحها دعوة تحديد النسل بحجة مواجهة التحديات الاقتصادية والاجتماعية ، وترصد لهذه الحملة أموالاً طائلة كان من الممكن توظيفها في مشاريع اقتصادية واجتماعية أكثر جدوى ، فتؤكد التقارير في أحد البلدان العربية أن ما يصرف على إنجاح حملة تحديد النسل في عام واحد من سيارات وأطباء وممرضين وممرضات وأدوية ومهمات وعمليات جراحية ومستشفيات وغيرها يكفى لرعاية أكثر من مليون طفل ، في حين أن زيادة الأطفال في البلد لا تتجاوز ربع مليون طفل . ثم إن في البلاد الإسلامية أقطاراً فيها المشروعات ومجالات العمل وليس فيها العمال ، ومما يضطرها لاستيراد العمالة من خارج البلاد ، حتى من آسيا وأوروبا لتنفيذ العمران في هذه الأقطار . وهناك أقطار أخرى فيها زيادة سكانية تثن منها ، ولا تملك رأس المال لبناء المشروعات التي تنتسج لهؤلاء ، أو إيجاد أعمال لهم تعود عليهم وعلى الوطن بالنفع ، فمأذا لو استفاد هؤلاء من سكان أولئك ليستمر الإخاء الإنساني . فضلاً عن ذلك كله ، فإن الثروة البشرية هي أساس التقدم والرقى لو أحسن استغلالها بدلاً من التذرع بعدم وجود الإمكانيات المتاحة . وهذا ما أثبتته تجارب الحياة اليومية من واقع البلدان المتحضرة الغنية كاليابان وغيرها ، ومن هنا كانت أهمية النسل البشري الذي يتأتى من المرأة الودود الولود كما أخبرنا الرسول ﷺ (٢٥) .

المبحث الثالث من شواهد الإعجاز الكوني في السنة النبوية

يتواصل الإبهار الذي يحققه كل من القرآن الكريم والسنة النبوية في إخبارنا قبل (٤٠٠ سنة) ونيف عن حقائق يكتشفها الإنسان اليوم مذهباً ، في حين أنه كان يتلوها مئات السنين من دون أن يعي حقيقتها ، ومن المعزات الكونية المهمة التي أخبرنا بها الرسول ﷺ أن ما يصل إلى الأرض من هطول محسوب بدقة ولا يتغير وسطياً من عام إلى آخر ، وهو ما يعبر عنه في العلوم الجغرافية والعلوم الطبيعية بالتوازن الرطوبي والتهطالي ، ومما جاء في القرآن الكريم : ﴿ وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ نُخْرِجُونَ ﴾ (٢٦) . فقد روي عن ابن عباس . رضي الله عنهما . عن رسول الله ﷺ قال : ((ما من عام أمطر من عام ، ولكن يصرفه حيث يشاء ، ثم قرأ : ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ ﴾

يُنْتَهُمُ ﴿٢٧﴾ (٢٨). في هذا الحديث الشريف حقيقتان :

أ . الكم المحدود من الهطول السنوي (ما من عام أمطر من عام).

ب . قوله . عليه السلام .: يصرفه حيث يشاء تعنى توزيع الهطول على سطح الأرض توزيعاً حدده رب العزة بشكل يحقق التوازن النطاقي والإقليمي على سطح الأرض، والتوازن الرطوبي المنطلق لتحقيق مختلف أشكال التوازن المادي والطاقي الأرضي، وعند الله كل شيء بمقدار ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ (٢٩) .

ولدى وقوعنا أمام ظاهرة الدورة الرطوبية على سطح الأرض، وتتكون الدورة الرطوبية من مجموعتين من العناصر الرطوبية :

أ . المجموعة الأولى مجموعة عناصر الكسب الرطوبي .

ب . المجموعة الثانية مجموعة عناصر الخسارة الرطوبية (٣٠).

وبعيداً عن لغة الأرقام والمعادلات العلمية التخصصية ، فأنا نرى في المحيطات أن عناصر الكسب الرطوبي تتجلى في كمية الهطول السنوية فوق المحيطات ، وبما يرد إليها من مياه نهريّة عذبة من اليابسة وأما الخسارة فإنها عبارة عن كمية المياه المتبخرة سنوياً من المحيطات ، وأن كمية ما يتبخر سنوياً من المحيطات يعادل (٥٠٥) ألف كم^٣، وهي تعادل مقدار الهطول فوق المحيطات (٤٥٨) ألف كم^٣ مضافاً إليها مياه الأنهار الصابة فيها (٤٧) ألف كم^٣. أما بالنسبة للقارات ، فإن عنصر الكسب يتمثل بكمية الهطول السنوية والبالغة (١١٩) ألف كم^٣، إلا أن الخسارة الرطوبية تتجلى في كمية مياه الأنهار الصابة في المحيط العالمي، وتعادل (٤٧) ألف كم^٣ كما رأينا، وهكذا نجد أن مجموع ما يتبخر سنوياً فوق القارات يعادل (٧٢) ألف كم^٣ ، أي : إن مجموع ما يتبخر على سطح الأرض يعادل كمية الهطول السنوية فوقها (٣١) .

وصدق الرسول ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى عندما قال: (ما من عام أمطر من عام ٠٠) .

الخاتمة

بعد هذا العرض الموجز لبعض الشواهد النبوية التي اشتملت على حقائق دالة على الإعجاز العلمي فيها ، أجز أهم ما جاء في هذا البحث بما يأتي :

١. إن الإعجاز العلمي في السنة النبوية حقيقة ثابتة كما هو الحال في القرآن الكريم .
٢. إن الإعجاز العلمي في السنة النبوية يشمل مرافق الحياة كافة ، وقد أوردنا بعض الشواهد على ذلك في المجالات الطبية ، الاجتماعية والكونية .
٣. ضرورة إنشاء مؤسسات بحثية علمية مشتركة مكونة من علماء الدين ، وعلماء في علوم الفيزياء ، والكيمياء والطب تأخذ على عاتقها تحليل الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية الشريفة ، والوقوف على ما فيها من معجزات بما يتيسر من إمكانات .
٤. تتبع الاكتشافات العلمية الحديثة الثابتة ، ومقابلتها بالحقائق القرآنية والأخبار النبوية .
٥. مخاطبة العقل الغربي بلغة مفهومة من قبلهم ، وتضمينها الأرقام والحقائق العلمية من أجل تعريفهم بالإسلام وبنبيه الكريم ﷺ .

هذا غيض من فيض ، والله ولي التوفيق

المصادر والمراجع

١. الإعجاز العلمي في الإسلام والسنة النبوية ، لمحمد كامل عبد الصمد ، دار الصفدي بيروت ، ٢٠٠٤م .
٢. تُحْفَةُ الْأَحْوَدِيِّ بِشَرْحِ جَامِعِ التُّرْمِذِيِّ ، لأبي العلا مُحَمَّدَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ الرَّحِيمِ الْمُبَارَكْفُورِيِّ ، (ت ١٣٥٣ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بَيْرُوتُ ، (د . ت) .
٣. سُنَنُ التُّرْمِذِيِّ ، لأبي عيسى مُحَمَّدَ بْنَ عَيْسَى التُّرْمِذِيِّ السُّلَمِيِّ ، (ت ٢٧٩ هـ) ، تحقيق: أَحْمَدُ مُحَمَّدُ شَاكِرٌ وَآخَرِينَ ، دَارُ إِحْيَاءِ التُّرَاثِ الْعَرَبِيِّ ، بَيْرُوتُ ، (د . ت) .
٤. صَحِيحُ ابْنِ حِبَّانَ بترتيب ابن بلبان ، لأبي حاتم مُحَمَّدَ بْنَ حِبَّانَ ابْنِ أَحْمَدَ التَّمِيمِيِّ البَسْتِيِّ ، (ت ٣٥٤ هـ) ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ، الطَّبَعَةُ الثَّانِيَةُ ، مَوْسَسَةُ الرِّسَالَةِ ، بَيْرُوتُ ، ١٤١٤ هـ . ١٩٩٣م .
٥. صَحِيحُ ابْنِ خُرَيْمَةَ ، لأبي بكرٍ مُحَمَّدَ بْنَ إِسْحَاقَ بْنَ خُرَيْمَةَ السُّلَمِيِّ النِّسَابُورِيِّ ، (ت ٣١١ هـ) ، تحقيق: د . مُحَمَّدُ مَصْطَفَى الْأَعْظَمِيِّ ، الطَّبَعَةُ الْأُولَى ، المَكْتَبَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ ، بَيْرُوتُ ، ١٣٩٠ هـ . ١٩٧٠م .
٦. صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ ، لأبي عبد الله مُحَمَّدَ بْنَ إِسْمَاعِيلَ الْبُخَارِيِّ الْجَعْفِيِّ ، (ت ٢٥٦ هـ) ، تحقيق: د . مصطفى ديب البغا ، الطَّبَعَةُ الثَّالِثَةُ

، دار ابن كثير ، اليمامة ، بَيْرُوتُ ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .

٧. صَحِيحُ مُسْلِمٍ . لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت ٢٦١ هـ) ، تحقيق : مُحَمَّدُ فُؤَادِ عَبْدِ الْبَاقِي ، دار إحياء التراث العربي ، بَيْرُوتُ ، (د . ت) .
٨. علم الأرض العام ، نيكوكوفا ن. ب. موسكو ، ١٩٧٦ م .
٩. المُسْتَدْرَكُ عَلَى الصَّحِيحَيْنِ ، لأبي عَبْدِ اللَّهِ الحافظ مُحَمَّدُ بن عَبْدِ اللَّهِ الحَاكِمِ النِّيسَابُورِيِّ ، (ت ٤٠٥ هـ) ، تحقيق : مصطفى عَبْد القادر عطا ، الطَّبَعَةُ الْأُولَى ، دار الكتب العلمية ، بَيْرُوتُ ، ١٤١١ هـ . ١٩٩٠ م
١٠. المُتَنَقَّى مِنَ السُّنَنِ الْمَسْنُودَةِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . لأبي مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ بن علي بن الجارود النيسابوري (ت ٣٠٧ هـ) تحقيق : عَبْدُ اللَّهِ عَمْرُ البَارُودِي ، الطَّبَعَةُ الْأُولَى ، مؤسسة الكِتَابِ التَّقَايَةِ ، بَيْرُوتُ ، ١٤٠٨ هـ . ١٩٨٨ م .
١١. الهيدرولوجيا العامة ، ايفانوف ك. إ. وسواه ، لينينغراد ، ١٩٨٤ م .
١٢. وفي أنفسكم أفلا تبصرون ، لأنس بن عبد الحميد القوز ، الطبعة الأولى ، بيروت ، ١٤٠٩ هـ .
١٣. اسرار علميه في السنة النبوية ، ملتقى اهل الحديث .
١٤. موسوعة الاعجاز العلمي ، لابن حجر ط ٢ - ١٤٢٤ - ٢٠٠٣ .
١٥. الاعجاز العلمي في القرآن والسنة ، للشيخ عبدالمجيد الزنداني .

الهوامش

- (١) سورة الحديد : الآية ٢٥ .
- (٢) سورة النساء : الآية ٦٦ .
- (٣) سورة البقرة : الآية ١٤٦ .
- (٤) سورة البقرة : الآية ١٧٣ .
- (٥) سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ : ٢٨٩/٤ رقم (١٨٥٩) . وقال : حديث غريب من هذا الوجه ، وصححه الحاكم : ١٣٢/٤ رقم (٧١٢٦) . وحسنه في تحفة الأحوذني : ٤٨٤/٥ - ٤٨٥ .
- (٦) صَحِيحُ البُخَارِيِّ : ٢١٦٣/٥ ؛ صَحِيحُ مُسْلِمٍ : ١٧٣٨/٤ رقم (٢٢١٨) . متفق عليه ، واللفظ للبخاري (٢) . الاسرار العلمية في السنة النبوية ملتقى اهل الحديث .
- (٧) يُنْظَرُ : الإعجاز العلمي في الإسلام والسنة النبوية ، لمحمد كامل عبد الصمد ، دار الصفدي بيروت ، ٢٠٠٤ م : ٣٦ .
- (٨) صَحِيحُ البُخَارِيِّ : ٧٥/١ رقم (١٧٠) ؛ صَحِيحُ مُسْلِمٍ : ٢٣٤/١ رقم (٢٧٩) . متفق عليه ، واللفظ لمسلم .
- (٩) الحديث رواه ابن خزيمة وصححه : ٥٥/١ رقم (١٠٤) ، وصححه ابن حبان : ١١٥/٤ والحكام : ٢٦٣/١ .
- (١٠) يُنْظَرُ : الإعجاز العلمي في الإسلام والسنة النبوية ، لمحمد كامل عبد الصمد : ٤٢ .
- (١١) ظهر عدد من البرامج الأمريكية العلمية والاجتماعية التلفزيونية التي تتحدث عن خطورة إيواء الكلاب في البيوت ، منها على سبيل المثال برنامج (أوبرا) الذي كرس عدداً من الحلقات لهذا الغرض .
- (١٢) صَحِيحُ البُخَارِيِّ : ١١٩١/٣ رقم (٣٠٩١) ؛ صَحِيحُ مُسْلِمٍ : ١٧٣١/٤ رقم (٢٢٠٩) . متفق عليه وقد روي الحديث عن عدد من الصحابة رضي الله عنهم .
- (١٣) صَحِيحُ مُسْلِمٍ : ١٩٩٣/٤ رقم (٢٥٧٥) .
- (١٤) المُسْتَدْرَكُ عَلَى الصَّحِيحَيْنِ : ٤٤٧/٤ رقم (٨٢٢٩) قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه بهذه الزيادة .
- (١٥) يُنْظَرُ : الإعجاز العلمي في الإسلام والسنة النبوية ، لمحمد كامل عبد الصمد : ٥١ .
- (١٦) صَحِيحُ مُسْلِمٍ : ١٥٣٣/٣ رقم (١٩٣٢) .
- (١٧) المَصْدَرُ نَفْسِهِ : ١٥٣٤/٣ رقم (١٩٣٤) .
- (١٨) يُنْظَرُ : الإعجاز العلمي في الإسلام والسنة النبوية ، لمحمد كامل عبد الصمد : ٦٥ - ٦٨ .

- (١٩) صَحِيحُ مُسْلِمٍ : ٣ / ١٥٩٦ رقم (٢٠١٤) .
- (٢٠) يُنْظَرُ : الإعجاز العلمي في الإسلام والسنة النبوية ، لمحمد كامل عبد الصمد : ٦٩ .
- (٢١) المُسْتَدْرَكُ عَلَى الصَّحِيحَيْنِ : ٦٧/٢ رقم (٢٣٥٠) . قال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه . والحديث صححه ابن خزيمة : ٣٤٨/٤ ؛ وابن حبان : ٣٣٥/١ ، وابن الجارود : ٤٦ .
- (٢٢) وفي أنفسكم أفلا تبصرون ، لأس بن عبد الحميد القوز ، الطبعة الأولى ، بيروت ، ١٤٠٩ هـ : ٢٣ .
- (٢٣) صحيح ابن حبان : ٣٣٨/٩ رقم (٤٠٢٨) ؛ المُسْتَدْرَكُ عَلَى الصَّحِيحَيْنِ : ١٧٦/٢ رقم (٢٦٨٥) قال الحاكم : هذا حديث صحيح ولم يخرجاه بهذه السياقة .
- (٢٤) سورة البقرة : الآية ٢٣٣ .
- (٢٥) يُنْظَرُ : الإعجاز العلمي في الإسلام والسنة النبوية ، لمحمد كامل عبد الصمد : ٧٥ .
- (٢٦) سورة الزخرف : الآية ١١ .
- (٢٧) سورة الفرقان : الآية ٥٠ .
- (٢٨) المُسْتَدْرَكُ عَلَى الصَّحِيحَيْنِ : ٤٣٧/٢ رقم (٣٥٢٠) . قال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . ورواه ابن حزم بسنده عن ابن مسعود موقوفاً .
- (٢٩) سورة الرعد : الآية ٨ .
- (٣٠) يُنْظَرُ : الهيدرولوجيا العامة ، ايفانوف ك. إ. وسواه ، لينينغراد ، ١٩٨٤ م : ١٢ .
- (٣١) يُنْظَرُ : علم الأرض العام ، نيكولوكوفا ن. ب. موسكو ، ١٩٧٦ م : ٢٦ .